ألم الأرض

أحسستُ بأن قلبي يتباطأ، كأنه يتلكأ أو يودُّ التوقُّفَ للحظاتٍ حتى يستعيدَ أنفاسَه. هممتُ أنْ أُنبِّهه إلى أنَّ هذا الأمرَ ليس فيه مجالٌ للمُزَاحِ. لكنَّ الأتوبيسَ كان يهتزُّ بشدَّةٍ، ربما لأنه قديم، وربما لكثرة الأجساد أو القلوب المتمردة أو لكثرة المطبَّات بالطريق. رأيتُ الأتوبيس امتدادًا لقلبي، بالرغم من عدم وجود متسع بين الأجساد المتلاصقة التي أحسستُ أن نصفَها على الأقل من المُخْبِرين. وربما كان الأتوبيس ذاته قد فكَّر في أن يستعيد أنفاسه هو الآخر. وجدتُ نفسي أدفع الأجساد بقوَّةٍ لم أظنّها كامنةً بداخلي. كلما دفعتُ جسدًا، ازداد قلبي نبضةً، فوددتُ لو أدفعُ الأجسادَ كلها، خاصَّةً وأنَّني أبصرتُها في ذلك الوقتُ مَنَصَّاتٍ لا تُجِيدُ سوى الكلامِ والتَّغَافُلِ عن ألمِ الأرضِ.

ألقيتُ بنفسي على الرصيف قبل أن تخضرَّ إشارةُ المرور. مسحتُ الدم من على رأسي، ونظرتُ إلى الأتوبيسِ المترنِّحِ نظرةَ أسًى عندما وجدتُ قلبي يستعيدُ انتظامَه ووجدتُني أسيرُ فَرِحًا والأرض بدأت تخضرُّ على جانبيّ الرصيفِ.

٩ يناير ٢٠١١